جهودُ الجزائريّينَ فيْ تطْويرِ البحْثِ اللِّسانيِّ

د./ عليّ كشرود

جامعة الجزائر2– أبو القاسم سعد الله

ali.kachroud@univ-alger2.dz

المُلخَّصُ:

تناولَتْ هذِه المُداخلَةُ المُتواضِعةُ السّبْقَ العلْمِيَّ لَدى العلاّمةِ الجزائريِّ عبْدِ الرّحْمن الحاج صالِح فيْ تطْويرِ اللُّغةِ العربيّةِ، وترْقيَةِ تعليمِها وتعلُّمِها مُسْتعينًا بِما توصَّلتْ إليْهِ التِّكْنولوجيّاتُ الحديثَةُ، ومُحاوِلاً تطْبيقَها على مناهِجِ اللِّسانيّاتِ التّرْبويّةِ الحديثَةِ. وهدفُنا منْ هذِه الدِّراسَةِ، هوَ إبْرازُ الجهودِ العلْميّةِ الجبّارَةِ الّتيْ بذَلَها الحاج صالِح منْ أجْلِ رَدِّ الاِعْتبارِ لِلُغةِ الضّادِ، وإحْلالِها المكانةَ الطّبيعيَّةَ بيْنَ اللُّغاتِ البشريَّةِ قاطِبةً، لِتكونَ بِحقٍّ لُغةَ العلْمِ، والثّقافةِ، والحضارَةِ الإنْسانيَّةِ، ووسيلَةَ التّخاطُبِ اليوْمِيِّ.

كانتْ لِلْفقيدِ أعْمالٌ مُتميِّزَةٌ فيْ البحوثِ اللُّغويّةِ، ومُشارَكةٌ فاعلَةٌ فيْ الحياةِ الثّقافيّةِ، وفيْ إبْرازِ مكانةِ التُّراثِ اللُّغوِيِّ الأصيلِ لِلنُّحاةِ العرَبِ القُدامى والتّعْريفِ بِه. فقدْ كانَ مُنْبهِرًا بِأَعْمالِهِمْ الجليلَةِ، ما جعلَهُ يَتبنّى بعْضًا منَ المفاهيمِ والمصْطلحاتِ الّتيْ وظَّفها فيْ إطارِ مشْروعِ المدرَسَةِ الخليليّةِ الّتيْ حَظِيَتْ بِعنايَةٍ فائقَةٍ مِنْ لَدُنْهُ بِغرَضِ تطْويرِها واِسْتثْمارِها فيْ الحقْلِ اللِّسانيِّ، وعلى وجْهِ الخُصوصِ التّرْبويّ.

الكلماتُ المِفتاحيّةُ:

الجامعة الجزائريّة؛ الدِّراساتُ اللُّغويّةُ عنْد العربِ؛ البحْثُ اللِّسانيُّ في المغْرِبِ العربيِّ؛ جهود الجزائريّينَ في البحثِ اللِّسانيِّ؛ المدرسَةُ الخليليّةُ؛ الذّخيرَةُ.

Résumé:

Nous avons évoqué par le biais de cette modeste allocution, l'élan scientifique qu'a apporté le professeur El Haj Salah au développement de la langue arabe, à la promotion de sa didactique, et à son apprentissage en utilisant les nouvelles technologies.

Le but ciblé par cette recherche, est de mettre en évidence les grands efforts observés de la part du professeur El Haj Salah pour réhabiliter la langue arabe à une place radieuse parmi les autres langues, et lui rendre hommage, afin qu'elle soit une langue de science, de culture, de civilisation humaine, mais avant tout, un moyen de communication.

Le célèbre linguiste El Haj Salah a laissé après son décès le : 5.Mars.2017 (*Paix à son âme*), un certain nombre d'ouvrages tel que : La linguistique générale, La logique des arabes dans les sciences de la langue, La langue arabe et la linguistique générale, et beaucoup d'autres, ainsi qu'un bon nombre d'articles parus dans des revues spécialisées.

Mots clés:

L'université Algérienne; Les études linguistiques arabes; La recherche linguistique dans le Maghreb Arabe; Les efforts Algériens dans la recherche linguistique; L'école d'El-Khalil; Relique.

مدخل:

إنّ الحديثَ عن التّعليم الجامعيّ بالجزائرِ المستقلّة، يقودنا حتما إلى ذكْر أولى جامعة جزائريّة ظهرت في حقْل التّعليم العاليْ في سنة 1877م في فترة الإحتلال الفرنسيّ الغاشم، والّتيْ اِضطلعت بمهام تعْليم أبناء المستوطنين الأوروبيّين داخلَ الجزائر وخدمتهم في ظلّ التّحريم القطْعيّ لِدراسة اللّغة العربيّة، وكلّ ما لَه صلة بالثّقافة، والإنْتماء، والهويّة لِعلْم فرنسا أنّ دراسة اللّغة العربيّةِ، يُشكّل خطرًا على الوجود الفرنسيّ، ونفوذها المهيمن على الكثير من مجالات الحياةِ اليوميّة، والقطاعات التّجاريّة والإقتصاديّة، والتّنمويّة على العموم.

وقد أجمع رأْيُ أهلِ الإختصاصِ، أنّ سنة 1877م هي الإنطلاقة الفعليّة لِبدْءِ التّعليم الجامعيّ في الوطنِ العربيّ، هذه البداية الّتيْ اِرتبطت ولا شكّ بظهور الجامعة الجزائريّة إبّان الإحتلال الإسْتداريّ؛ لكن، يرى البعض أنّ الجامعة الجزائريّةَ تأسّستْ فعْلاً بعد الإسْتقلال على أنْقاضِ الجامعة الفرنسيّة.

وعرفتِ الجامعة فيْ نشأتها، ومراحل تطوّرِها محطّاتٍ نوجزها على النّحو التّاليْ، لِتكونَ معالمَ نهْتدي بها في فضاءِ مُداخلتنا هذه المتعلّقة بِجهود الجزائريّين في تطوير البحثِ اللّسانيِّ:

- ✓ المرحلة الأولى (1962–1970)، فتح الجامعاتِ بالمدُن الرّئيسةِ.
- ✓ المرحلة الثّانية (تبدأ منْ سنة 1970)، تُؤَرِّخُ لِلسّنة الأولى من ظهور وزارة التّعليم العاليْ، والبحثِ العلْميِّ.
- ✓ المرحلة الثّالثة (تبدأ من1983)، تميّزت هذه المرحلة بإعداد الخارطة الجامعيّة في صورتها الأولى، والّتيْ كان الهدف منْها التّخْطيط لِلتّعليم العاليْ حتّى آفاق 2000م فيْ ظلِّ النّظرة الإسْتشْرافيّةِ المرْتبِطةِ بِمتطلّباتِ الواقعِ الإقْتصاديِّ لِلْجزائرِ.
- ✓ المرحلة الرّابعة (تبدأ مِن سنة1989)، وهي المرحلة الّتيْ شهِدتْ اِسْتقْلاليّة الجامعة بِحُكْمِ المَهمَّةِ السّاميَةِ الّتيْ أُنْشئَتْ منْ أجلِها، وهيَ تكْوينُ الإطارِ الجزائريِّ الكُفْءِ.

فكلُّ المراحلِ الّتيْ خطتْها الجامعةُ الجزائريّةُ بدْءًا من تاريخِ اِسْتِرْدادِ سيادتِها المسْلوبةِ، ترجمت بِحقٍّ تلْك الجهودَ الثّمينة ذات القيمة المُضافة لِتطوير البحْثِ العلْميِّ، والتّكنولوجيّ، والإنْسانيّ بوجهٍ أعمّ، وكان لِلبحثِ اللّسانيِّ النّصيبُ الوافِرُ منْ تلْك الجهودِ الّتي قاد رايتَها وجسّدها ثلّةٌ منَ العلماءِ والأساتذةِ الجامعيّينَ الّذينَ أظْهروا كفاءَةً عاليةً، وأدْلوا بِدَلْوِهِم في

مجالٍ هو منَ المجالاتِ الحديثةِ العهْدِ في جزائرِ السّيادةِ والعِزّةِ، أ لا وهو مجالُ: البحثِ اللِّسانيِّ.

هذا، وقد ركّزنا في التّصميم الّذيْ رسمْناهُ لِمُداخلتِنا على محاوِرَ مُحدَّدةٍ نذْكرُها على النّحْوِ التّاليْ:

- ✓ إرهاصات البحث اللّساني في التّراث العربيّ في ظلِّ الدّراساتِ اللّغويّةِ المُنجزَةِ.
- ✓ جهود اللّسانيّين العرب المغاربةِ في إنشاءِ قاعدةِ بياناتٍ لِقراءة التُّراثِ العربيّ، ولِتطْويرِ البحْث اللِّسانيِّ المُعاصر.
- ✓ وأخيرًا، التّركيز في مُداخلتِنا على الجهْدِ المبذولِ مِنْ قِبَل جزائريّين ذوي كفاءاتٍ عاليةٍ لِتطويرِ البحْثِ اللِّسانيِّ.

1- البحث اللِّسانيِّ عنْد العربِ

قبْل فتْح البابِ على مصراعيْه فيما تعلّق بِموضوعِ البحثِ اللّسانيِّ عنْد العربِ، يليقُ بِأبجديّاتِ هذِه المُداخلَةِ المتواضعَةِ، أنْ نقِفَ وِقْفَةَ المُبيِّنِ لِحدود مُصطلَحِ اللِّسانيّاتِ الّذيْ قيلَ عنْهُ: الدّراسة العلْميّة لِلّغاتِ البشريّة كافّةً مِنْ خلالِ الألْسنةِ الخاصّةِ بكلِّ قوْمٍ منَ الأقْوام. وإنّ هذِه الدّراسةَ تشْمَل: الأصْواتَ اللّغويّة، والتّراكيبَ النّحويّة، والدّلالاتِ في المعاني اللّغويّةِ، وعلاقةَ اللّغات البشريّةِ بِالعالَمِ الفيزيائيِّ الّذيْ يُحيطُ بِالإنْسانِ. وقدْ جاءَ في كتابٍ بِعنْوان: (مبادئ اللّسانيّاتِ)، تعريفٌ مُفادُهُ: " العلْم الّذي يدرُس اللُّغةَ الإنسانيَّةَ دراسَةً علميّةً تقومُ على الوصْفِ، ومُعاينَةِ الوقائعِ بعيدًا عنِ النّزعةِ التّعليميّةِ، والأحْكامِ المِعياريَّةِ "[1]. ويعني ذلِك، أنّ اللِّسانيّاتِ هو: تلك الدِّراسة العلْميّةُ الّتيْ تسْتخدِم آليّاتِ الأُسلوبِ العلْميّ المُرْتكزِ أساسًا على المقاييسِ التّاليَةِ:

- ✓ مُلاحظة الظّواهرِ اللُّغويّةِ.
- ✓ التّجريبُ، والاسْتقْراءُ المُسْتمِرُ.
- ✓ بناءُ نظريّاتٍ لِسانيّة كُلِّيّة في ظلِّ النّماذِجِ اللِّسانيّةِ القابلَةِ لِلتّطْويرِ.
- ✓ ضبْطُ النّظريّاتِ اللّسانيّة الكُلِّيَّةِ، فضْلاً عنْ ضبْطِ الظّواهرِ اللُّغويّةِ الّتيْ تعْملُ عليْها.
- ✓ توْظيف النّماذِجِ، والعلاقاتِ الرّياضيَّةِ الحديثَةِ.
- ✓ الإسْتعانةُ بِالتّحليلِ الرِّياضيِّ الحديثِ للّغةِ، وقدْ فعلَهُ سيبَوَيْهِ في الكتابِ حينَ اِعْتمَد المنْطِقَ في فهْمِ اللُّغةِ.

✓ التّحلّيْ بِالموضوعيَّةِ المُطْلقَةِ.

نظرَ أهْلُ الرّأْيِ منَ العلماءِ اللّسانيّينَ المُحْدَثينَ، وعلى رأْسِهِمْ الباحثُ اللّسانيُّ الإنْجليزيُّ ر.روبنز (R.Robbins) نظْرَةَ إجلالٍ وإكْبارٍ لإسْهاماتِ العربِ القُدامى في مجالِ الدِّراساتِ اللّسانيَّةِ، وذلكَ في كتابِه الموْسومِ: (التّاريخ الوجيز لِلّسانيّات) " A short History o linguitics"، وأعلنَ بِصراحةٍ أنّ تاريخَ الأُممِ السّابقةِ، زخَر بِالدِّراساتِ اللُّغويَّةِ الّتيْ تسْتقْرِئُ الظّواهرَ اللُّغويَّةَ منَ الوجْهةِ الصّوْتيَّةِ، والتّركيبيَّةِ، والدّلاليَّةِ، وتكشِفُ عنِ العلاقاتِ المُمكنَةِ لِهذِه المجالاتِ اللُّغويَّةِ الثّلاثَةِ بِالعالَمِ الّذيْ يعيشُ فيهِ الإنْسانُ. وعليْهِ، يقولُ الدّكتورُ مازن الوعر: "اللُّغةُ ظاهرَةٌ فيزيولوجيّة–إنْسانيّة، لاحظها الإنْسانُ منْذُ أنْ خُلِق على وجْهِ الأرْضِ، وقدْ حاولَ وما يزالُ يُحاوِلُ سَبْرَها. وهكذا، فإنّ تاريخَ الإنْسانِ –بِغضِّ النّظرِ عنْ جِنسِهِ، وعِرْقِه، وأصْلِه، وفصْلِهِ– مليءٌ بالدراسات الّتيْ تناولَتْ الظّاهرَةَ اللُّغويَّةَ...، ولوِ اِلْتَفَتَ الغرْبُ المُعاصِرُ إلى التّاريخِ اللُّغوِيِّ التُّراثيِّ العربيِّ، لَكانَ علْمُ اللّسانيّاتِ الحديثُ في مرْحلَةٍ مُتقدِّمَةٍ منَ الزّمنِ الّذي هو فيه "[2]. ويُؤكِّد الدّكتورُ مازن الوعر، أنّ حقيقةَ ما ذكرَهُ عنْ إشادةِ الغرْبِ المُعاصِرِ بِما فعلَهُ علماءُ اللُّغةِ العرَبُ، والتّنْويهِ بِجهودِهِم المبْذولَةِ في مجالِ الدِّراساتِ اللُّغويَّةِ، قدْ شارَكهُ في تلْك الحقيقَةِ عالِمُ اللّسانيّاتِ الأمْريكيُّ نعوم تشومسكي في إطارِ حوارٍ أجْراهُ معهُ عامَ 1982م[3]. وهذِه حقيقةٌ لا يُنْكِرُها جاحِدٌ، فلقدْ أثْبتَ باحثونَ لِسانيّونَ غرْبيّونَ وُصِفوا بِالاعْتِدالِ والإنْصافِ، أمْثالَ: أ.روبنز (Anthony Robbins)[4]، ونعوم تشومْسكيْ، وو.كوك (Walter Cook)[5]، تأثُّرَ اللّسانيّاتِ الحديثَةِ بِالتُّراثِ اللُّغوِيِّ العربيِّ عنْ طريقٍ مُباشِرٍ مثْل الإطِّلاعِ على التُّراثِ اللُّغوِيِّ العربيِّ بِاللُّغةِ العربيّةِ أوْ عنْ طريقِ ترْجمَةِ أعْمالِ النُّحاةِ، واللُّغويّينَ، والبلاغيّينَ العربِ إلى لُغاتٍ كثيرَةٍ، وخاصّةً اللُّغة الألْمانيّة مثْلما ذكرَهُ الدّكتور مازن الوعر في مجلّةِ التُّراثِ العربيِّ، في ظلِّ المقالِ الموْسومِ: صلَةُ التُّراثِ اللُّغوِيِّ العربيِّ بِاللّسانيّاتِ.

1.1 التّعليميّة، والإكتِساب اللّغويّ:

إنّ الدّعوة إلى قراءة التّراث اللّغويّ عنْد العرب وحتّى عند غيرِهم، أمرٌ بات منَ الضّرورةِ بما كان على الدّارسين والباحثين؛ لِأنّ المطّلعَ بعين فاحصةٍ على تراثنا اللّغويّ، يقف –لا محالة– مشدوها أمام الكمّ الهائلِ منَ المنتج العلْميِّ اللّغويِّ في مجالات وميادينَ كثيرةٍ

متباينة في الصّوتيّاتِ، وفي علْميْ الأبنيَةِ والتّراكيبِ، وفي غيْرِها منَ المعارف اللّغويّة الّتي اِحتضنتْ بحرارةٍ كلَّ ما لهُ صلَةٌ بِالعربيّةِ ولَهجاتِها.

ولا شكَّ أنّ الدّعوةَ إلى قراءَةِ هذا التُّراثِ اللُّغويِّ، إنّما الهدفُ المرْجوُّ منه هو لِغاية علْميَّةٍ محضة، تُفْضي إلى إبراز ضخامةِ الجهدِ الإنْسانيِّ في تأْصيلِ المعارِف اللّغويّةِ العربيّةِ، والإشادةِ بها حتّى يتمكّنَ الدّارسونَ والباحثون من إحْيائها خدْمةً لِلّغةِ العربيّةِ، والتّنويهِ بِعلمائها الأفْذاذِ الّذين ما اِدّخروا جهْدًا في الإبانةِ عنِ الأفْكارِ اللّغويّةِ الجادَّةِ، ومناهج تنْظيرها، كلّ هذا الجهْد في ظلِّ اِعْترافٍ كبيرٍ بجدّيَتِها لَدى اللّسانيّين الّذين أظْهروا في فضاءاتِ دراساتهِم أهمِّيَّتَها لِما حملَتْهُ منْ قيمةٍ مُضافَةٍ إلى البشريّةِ جمْعاءَ.

هناك صلةُ رَحِمٍ متينةٌ بيْن مفْهومِ اِكْتسابِ اللّغةِ ومُصطلَحِ التّعليميَّةِ الّذي لَه تفْريعاتٌ تمتدُّ إلى المفاهيمِ البيداغوجيَّةِ في ظلِّ المَهمَّاتِ التّربويَّةِ الّتي تُمكِّنُ المتعلِّمَ منْ تحْصيلِ المهاراتِ والتِّقنيّاتِ منْ جهَةٍ، ومِنْ سَدِّ حاجاتِهِ، وإشْباعِ فضولِهِ مِنْ جهَةٍ ثانيَةٍ.

إنَّ أهمَّ الأعْمالِ التُّراثيَّةِ المُرتبِطَةِ بقضيَّةِ اِكْتسابِ اللّغةِ والّتي يُمكِنُ اِسْتثْمارُها في حقْلِ اللّسانيّاتِ التّعْليميَّةِ، ما ورَد عنْد اِبْنِ فارسٍ (395هـ) منْ آليّاتِ الاِكْتسابِ اللُّغويِّ؛ لِأنّها تُعَدُّ منْ أهمِّ القضايا اللُّغويَّةِ الّتي اِهْتمَّتْ بها الدِّراساتُ اللِّسانيَّةُ الحديثَةُ. فالحديثُ عنْ أحْدَثِ الآراءِ في الفكْرِ اللُّغوِيِّ الغرْبِيِّ يَقودُنا إلى ما يُعْرَفُ بِالنّظريَّةِ الفِطْرِيَّةِ أوْ نظريّةِ تحْليلِ المعْلوماتِ الّتي اِرْتبَطتْ بِعمليَّةِ اِكْتِسابِ اللُّغةِ في ظِلِّ الجهودِ المبْذولَةِ منْ قِبَلِ العالِمِ اللُّغويِّ العربِيِّ اِبْنِ فارِسٍ.

أثارَ اِبْنُ فارِسٍ قضيَّةَ اِكْتسابِ اللُّغةِ "في بابِ القوْلِ فيْ مأخذ اللُّغةِ"، قائلاً: "تُؤْخَذُ اللُّغةُ اِعْتيادًا كالصَّبِيِّ العربيِّ يسْمَعُ أَبَوَيْهِ وغيْرَهُما، فهوَ يأْخُذُ اللُّغةَ عنْهُمْ على مرِّ الأوْقاتِ، وتُؤْخَذُ تَلَقُّنًا مِنْ مُلقِّنٍ، وتُؤْخَذُ سماعًا مِنَ الرُّواةِ الثِّقاتِ ذوي الصِّدْقِ والأمانَةِ..."[6]. وعليْهِ، يُمْكِنُ تلْخيصُ عمليَّةِ اِكْتسابِ الطِّفْلِ لِلُّغةِ وتوْليدِها عنْدَ اِبْنِ فارِسٍ على النّحْوِ التّاليْ:

- ✓ يسْمعُ الطِّفْلُ لُغةَ والِديْهِ فيُحاكيها.
- ✓ اِكْتسابُ الطِّفْلِ لِلُّغةِ يكونُ على مدارِ كلِّ الأوْقاتِ بِحُكْمِ اِتِّصالِه بِالمحيطِ القريبِ.
- ✓ يتعلَّمُ الطِّفْلُ اللُّغةَ بِوساطَةِ مُلَقِّنٍ، فتتحوَّلُ عمليَّةُ التّعلُّمِ والاِكْتسابِ منَ الفِطْريَّةِ إلى المِهْنيَّةِ حتّى تصيرَ مُمارَسَةُ فعْلِ الاِكْتسابِ اللُّغوِيِّ عنْدَ الطِّفْلِ ملَكةً صناعيَّةً تتحقَّقُ على يَدِ مُدرِّسٍ حَذِقٍ.

- ✓ تتوسَّعُ عمليَّةُ التّلقِّي مِنْ شخصٍ واحدٍ لِتكونَ على يَدِ علماءِ اللُّغةِ ورُواتِها، وهذا يسْمَح لِلطِّفْلِ بِتعْزيزِ ملَكَةِ اِكْتِسابِ اللُّغةِ بِتوْليدِ أنْماطِها المُخْتلِفَةِ.

إنّ كلَّ ما ذكرَهُ اِبْنُ فارِسٍ حوْلَ قضيَّةِ اِكْتسابِ اللُّغةِ لَدى الطِّفْلِ، مُرْتبِطٌ أشَدَّ الاِرْتباطِ بالنّظريّةِ الفِطْريَّةِ في العصْرِ الحديثِ، هذِهِ الأخيرَةِ الّتي تُنْتَسَبُ إلى اللِّسانيِّ تشومسكي، والمقْصود بالفِطرَةِ اللُّغويَّةِ هو تلْك الملَكةُ الّتي أوْدَعها الله الإنْسانَ وبِوساطَتِها تمكَّنَ منْ إنْتاجِ اللُّغةِ وتوْليدِها؛ ولخَّص تشومسكي مفاهيمَ هذِه النّظريَّةِ في مُصْطلَحِ: كفاءة (Compétence) أوْ ما يُعْرَفُ بـ: الكفاية اللغويّة عنْد الباحثينَ العربِ.

وقدْ تأسَّسَتْ هذِه النّظريَّةُ على المُرْتكزاتِ التّاليَةِ:

- ✓ اِعْتبارُ اللُّغةِ ملَكَةً أوْ مهارَةً مفْتوحَةَ النِّهاياتِ؛ بِمعْنًى آخرَ أنَّ مُسْتخدِمَ هذِه الملَكةِ يُمْكنُهُ أنْ يُنْتِجَ ويَفْهَمَ جُملاً لمْ يَسْبِقْ لهُ توْظيفُها أوْ سماعُها منْ قبْلُ.
- ✓ يُمْكنُ لِلطِّفْلِ في ظلِّ إتْقانِه لِلْقواعدِ الّتي تضْبِطُ بناءَ لُغتِه، أنْ يُولِّدَ تراكيبَ لُغويَّةً خاصَّةً بِه، وهذا ما أشارَ إليْهِ اِبْنُ فارِسٍ حينَ تكلَّمَ عنْ مبْدأ السّماعِ الفِطرِيِّ، فهوَ يرى أنَّ اللُّغةَ العربيَّةَ تُؤْخَذُ عنْ طريقِ الاِكْتسابِ منَ البيئَةِ الأصْليَّةِ الأولى الّتي يعيشُ فيها الطِّفْلُ العربِيُّ ألا وهيَ الأُسْرَةُ، بدْءًا بِالوالِديْنِ وعلى رأْسِهما الأمُّ؛ فالأُسرَةُ مِنْ هذا المنْظور تُعَدُّ الحاضِنةَ الأولى في ظلِّ ما يُعْرَفُ بِعلاقَةِ اللُّغةِ بِالأُسْرَةِ.

و يُمْكِنُ تلْخيصُ أُسُسِ النّظريَّةِ الفِطْريَّةِ عنْدَ تشومسكي في المحاوِرِ التّاليَةِ:

– مُسْتوى سماعِ الأصواتِ، ومُحاكاتِها عنْ طريقِ مُحيطِ الوالِديْنِ في الغالِبِ، ويُميِّزُ هذا المُسْتوى مرْحلتانِ، وهُما:

- مرحلة الأصْواتِ الّتي يُنْتِجُها أوْ يُصْدِرُها الطِّفْلُ دونما تلبُّسٍ بأيِّ حالَةٍ اِنْفعاليَّةٍ.
- مرحلة الأصْواتِ الّتي يسْمعُها الطِّفْلُ فيَندَفِعُ إلى تقْليدِها.

– مُسْتوى إدْراكِ الأبنيَّةِ والتّراكيبِ.

- ويظهرُ لَدى الطِّفْلِ في مُسْتوى الأبنيَّةِ تدرُّجُهُ مِنَ التّلفُّظِ بِالكلمةِ الأولى إلى أنْ تصِلَ قُدرتُهُ على نُطْقِ حواليْ مائة كلمة فيْ عشرينَ شهْرًا.
- ويتمثَّلُ مُسْتوى التّراكيبِ فيْ:

مرحلة الجملةِ الأُحاديَّةِ الكلمةِ.

مرحلة الجملَةِ المُؤلَّفَةِ مِنْ كلمتيْنِ.

– مُسْتوى معْرِفةِ النِّظامِ اللُّغويِّ العامِّ، وهو ما يُعرَفُ بِالرَّصيدِ اللُّغوِيِّ لَدى الطِّفْلِ حين يقومُ على نحْوٍ مُطَّرِدٍ بِاسْتخْدامِ مجْموعَةِ الأسْماءِ، والأفْعالِ، والأدواتِ الّتي تُشكِّلُ الثّرْوةَ اللُّغويَّةَ.

2– البحثُ اللِّسانيُّ في المغْرِبِ العربيِّ

خطا البحْثُ اللِّسانيُّ في المغْرِبِ العربيِّ خُطْواتٍ عِمْلاقةً، وقدْ ظهرتْ الطّفْراتُ الأولى لِهذا الجُهدِ الإنْسانيِّ مُنذُ ستِّينيّاتِ القرْنِ الماضيْ في ظلِّ ما يُعْرَفُ بِالتّحوُّلاتِ الجِذريّةِ الّتيْ شهِدتْها الثّقافةُ العربيّةُ الحديثَةُ، هذِه التّحوُّلات الّتيْ عَمِلتْ على إبْرازِ الخصائصِ المَعرِفيّةِ لِلتّراثِ اللُّغوِيِّ العربيِّ، وخُصوصيّاتِ اللُّغةِ العربيّةِ، فضْلاً عمّا يتميّزُ بهِ البحْثُ اللِّسانيُّ المَغْرِبيُّ في إطارِ المرْجعيَّةِ الإبْستيمولوجيَّةِ. وتقْتضيْ مِنّا أبجديّاتُ البحْثِ العلْميِّ، أنْ نُشيرَ إلى اِنْقِسامِ أهْلِ الرَّأْيِ منْ لِسانيّينَ مغارِبةٍ إلى فِرَقٍ تتجاذبُها الآراءُ المُتباينَةُ، والمقاصِدُ المُتبنّاةُ عنْد الاِشْتغالِ بِالبحثِ اللِّسانيِّ. فمنْهمْ مَنْ يُؤكِّدُ تمسُّكَه بِالتُّراثِ اللُّغويِّ العربيِّ الأصيلِ حينَ تُطْرَحُ القضايا اللِّسانيَّةُ، ومنْهمْ مَنْ يرى ضرورَةَ الاِسْتعانَةِ بِما تُقدِّمه اللِّسانيّاتُ الحديثةُ مِنْ فرضيّاتٍ نظريّةٍ، ومنْهجيّةِ تحْليلِ اللُّغةِ ومُعالجتِها، كما يَكشِفُ فريقٌ ثالِثٌ عنِ التّوجُّهِ المُتبنّى في ضرورَةِ التّشبُّثِ بالاِتِّجاهاتِ اللِّسانيَّةِ الغرْبيَّةِ بِغرَضِ إسْقاطِها على قواعِدِ اللُّغةِ العربيّةِ.

إنّ عمليّةَ رَصْدِ الحركةِ اللِّسانيّةِ في المغْرِبِ العربيِّ وأَلْوانِ نشاطِها، إنّما هيَ قراءَةٌ واعيَةٌ وهادِفةٌ نتوسَّلُ بِها النّقْدَ الموْضوعيَّ والبنّاءَ لِلْمعرِفةِ اللِّسانيَّةِ العربيّةِ في إطارِ ما جاءتْ بهِ البُحُوثُ اللِّسانيّةُ المغاربيّةُ. ومِنْ بابِ الإنْصافِ، يجِبُ التّنويهُ بِالجهودِ الجبّارَةِ المبْذولَةِ على يَدِ علماء أفْذاذٍ، ولِسانيّينَ مغارِبَةٍ تركوا بصماتِ أعْمالِهِمُ الجليلَةِ في العصْرِ الحديثِ حينَ فَقِهوا كلَّ الفِقْهِ، وأدْرَكوا كلَّ الإدْراكِ الأبْعادَ النّظريَّةَ العامّةَ لِلدِّراساتِ اللُّغويّةِ العربيّةِ المُرْتبِطةِ أشدَّ الاِرْتِباطِ بما جاءتْ بِه النّظريّاتُ اللِّسانيَّةُ المُعاصرَةُ، وقدْ أظْهروا مُحاولاتٍ حثيثَةً لِمُمارَسةِ إسْقاطاتِ هذِه النّظريّاتِ اللِّسانيَّةِ على نِظامِ اللُّغةِ العربيّةِ بِغرَضِ سَبْرِ أغْوارِها، وفهْمِ آليّاتِ التّأْليفِ في ظِلِّها، وحصْرِ أنْماطِ التّواصُلِ بِها. ومِنْ تلْك الجهودِ العظيمةِ الّتيْ أتَتْ أُكُلَها، نذْكُر بِفخْرٍ واِعتزاز العلاّمةَ الجزائريَّ عبْد الرّحمن الحاج صالح –رحمه الله– ، والمُفكِّرَ والباحِثَ اللِّسانيَّ التونُسِيَّ عبد السّلام المسدّي، وما تركَهُ عبْدُ القادرِ الفاسيُّ الفِهْرِيُّ المغْرِبِيُّ مِن إنْجازاتٍ في إطارِ المنْهجِ التّوْليدِيِّ.

وبِذكْرِ هؤلاءِ الأقْطابِ الثّلاثَةِ لِلّسانيّينَ العربِ المغارِبَةِ المُحْدَثينَ، نُحاوِلُ في كلماتٍ مُقْتَضَباتٍ أنْ نسْتنْطِقَ جُهودَهُمْ، وأُسُسَ البحْثِ اللّسانيِّ عنْدهُمْ، وذلِكَ منْ خلالِ تساؤلاتٍ نَجْتهِدُ ما وَسِعَتْنا القُدرَةُ لِلإجابَةِ عنْها، والّتيْ هيَ على النّحْوِ الآتيْ:

- ✓ ما طبيعةُ البحْثِ اللّسانيِّ في المغرِبِ العربيِّ؟
- ✓ أيْنَ يُمكِنُ تَصْنيفُ جهودُ اللّسانيّينَ المغارِبَةِ في ظلِّ العَوْلَمةِ، والتّحوُّلاتِ العميقَةِ الّتيْ عَرَفتْها الثّقافةُ العربيّةُ الحديثَةُ؟
- ✓ وما يَسْتوْقِفُنا لإيلائهِ الاِهْتِمامَ الأكْبرَ، هو: هلْ يوجدُ فعْلاً بُحُوثٌ لِسانيَّةٌ في المغْرِبِ العربيِّ؟

إنّ طبيعةَ المُلْتقى الدّوليّ، وطبيعةَ الأهْدافِ المُسطَّرَةِ في تصْميمِهِ، تدْعونا إلى القيامِ بِمسْحٍ شاملٍ لِلتّنْويهِ ببعْضِ عُلماءِ المغْرِبِ العربيِّ اللّسانيّينَ، والتّعْريفِ بِجهودِهِمْ المبْذولَةِ خدْمةً لِلّسانِ العربيِّ منْ جهةٍ، ومنْ جهةٍ ثانيَةٍ الوقوفَ وِقْفَةَ المُتأَمِّلِ والفاحِصِ في جهودِ الجامعيّينَ الجزائريّينَ الّتيْ اِنْعكَستْ في الإنْتاجِ الغزيرِ في مجالِ البحْثِ اللّسانيِّ، والعملَ على بيانِ اِتّجاهاتِ هذِه البُحُوثِ المُنجزَةِ، وما هيَ مُنْطلَقاتُها، وكذا بيان الأهْدافِ منْها، فضْلاً عنِ التّعريفِ بِالإطارِ المنْهجِيِّ لِهذهِ الاِتِّجاهاتِ اللّسانيَّةِ.

1.2 جهود عبْدُ السّلام المسدّيْ[7]:

شخصيّةٌ مُعاصرةٌ أثرتِ المكْتبةَ العربيّةَ بِإنجازاتٍ ضخْمةٍ تمثّلتْ في كتبٍ ومقالاتٍ رفعتِ السّتارَ عنِ الكثيرِ منَ القضايا اللّسانيّةِ الحديثةِ، وكانتْ همزةَ وصْلٍ بينَ النّظريّاتِ اللّسانيّةِ الغربيّةِ المُعاصرَةِ، والبحثِ اللّسانيّ العربيّ بصفةٍ عامّةٍ، والمغاربيّ بصفةٍ خاصّةٍ، فعبْدُ السّلامِ تمكّنَ بفضْلِ تفتُّحِه على اللّغاتِ البشريّةِ، وبفضل فكرِه اللّسانيّ مِنْ نقْلِ المعارِف اللّسانيّةِ الغربيّةِ وتوْظيفِها في الدّراساتِ اللّغويّةِ العربيّةِ؛ وإنّه لم يكْتف بعمليّةِ النّقلِ، بلْ تجاوزها إلى عمليّةِ التّعليمِ والتّعريفِ؛لأنّها شخصيّةٌ علميّةٌ تمثّلَتْ بِحقٍّ، وبقوّةٍ، وبشكْلٍ صحيحٍ لا غُبارَ عليْهِ اللّسانيّاتِ الغربيّةَ وما تمخّضتْ عنْهُ مِنْ نظريّاتٍ حديثةٍ، الأمرَ الّذي مكّنها مِنْ إثْراءِ البحْثِ اللّسانيّ العربيّ. لَقدْ قدّم عبْد السّلام منْ وجْهةِ نظرِه كباحثٍ لِسانيٍّ نظرةً جديدةً لِلّغةِ العربيّةِ حينَ أعادَ وصْفَها وصْفًا بعثَ فيها الرّوحَ منْ جديدٍ، وجسّد منْ خلالِه الحُضورَ الخِطابيّ والفكريّ لِلأمّةِ العربيّةِ في إطارِ الهُويّةِ والاِنْتماءِ.

يُعدُّ عبْد السّلام المسدّيْ شخصيّةً ذاتَ ثراءٍ لُغويٍّ كبيرٍ، فهو لمْ يقتصِرْ في أعمالِه البحْثيّةِ على جانبٍ واحدٍ أوْ مجالٍ واحدٍ، فدراساتُه مسّتْ كلَّ مناحيْ اللّغةِ العربيّةِ منْهجا وعِلْما، فنراهُ

بيْن قارئ ومُحلّلٍ لأهمِّ المناهجِ الإجرائيّةِ، والمعارفِ النّظريّةِ مُنطلِقًا منِ اِعْتقادٍ جازمٍ، أنّ القراءةَ هذهِ والتّحليلَ هيَ السّبيلُ الأمْثلُ لِمعرِفةِ الغيْرِ، والوقوفِ على حقيقةِ الدّراساتِ اللّغويّةِ في التُّراثِ العربيّ، ما أهّلهُ لإعادةِ الحياةِ في الموروثِ العربيّ بفضْلِ المنْهجِ العلْميّ الّذيْ تبنّاهُ لِنفسِه كيْ يُلبِسَ اللّغةَ العربيّةَ رِداءَ الحضارَةِ منْ غيْرِ إفراطٍ أوْ تفْريطٍ، والحقّ يُقالُ إنّه سعى كلَّ السّعيِ لإبْرازِ مكانةِ اللّغةِ العربيّةِ في ظلّ التّحدّيّاتِ الأجنبيّةِ، وفي ظلّ ما يُسمّى: العوْلمَةَ.

وما يُميّزُ الفكرَ اللّسانيّ عنْد عبْدِ السّلام المسدّيْ، هو إيمانُه العميقُ بأنّ ليْس كلَّ ما جاءتْ بِه اللّسانيّاتُ الغرْبيّةُ المُعاصرَةُ ليْس يَصْلُحُ لإسْقاطِه على اللّغةِ العربيّةِ، فهناك الكثيرُ منَ النّظريّاتِ، والمناهجِ اللّسانيّةِ الّتيْ تتلاءَمُ والواقِعَ اللّغوِيَّ العربيّ الحديثَ، فهو القائلُ: "ومنَ المعلومِ أنّ اللّسانيّاتِ قدْ أصبحتْ مرْكزَ الاِسْتقطابِ بلا مُنازِعٍ، فكلُّ تلْك العلومِ أصبحتْ تلتجئ في مناهجِ بحثِها، وفي تقديمِ حصيلَتِها العلْميّةِ إلى اللّسانيّاتِ وما تُنتِجُه منْ تقْديراتٍ علْميّةٍ، وطرائقَ في الاِسْتخْلاصِ"[8]. ويُضيفُ قائلاً في مكانٍ آخرَ مُتحدّثًا عنِ اللّسانيّاتِ وأهمّيّتِها في الدّرسِ اللّغوِيّ: "بِاِعْتبارِ أنّها العلْمُ الّذيْ يدرُسُ حقائقَ ومناهجَ الظّواهرِ اللّسانيّةِ، وبيان عناصرِها، وعلاقاتِها الإفْراديّةِ والتّركيبيّةِ"[9]. فالمتأمّلُ في الفكْرِ اللّسانيّ لِلْمسدّيْ، يرى أنّه ينبعِثُ مِنْ قوّةِ إيمانِه بِقُدرَةِ اللّسانيّاتِ الغربيّةِ على منْح اللّغةَ العربيّةَ طابعا جديدا، وصِبغةً حضاريّةً تجعلُها تُواكِبُ كلَّ التّحوُّلاتِ المعرِفيَّةِ العالَميَّةِ، أيْ بِمعنًى آخرَ، يُمكِنُ تطْويعُ النّظريّاتِ اللّسانيّةِ الحديثةِ وتطْبيقِها على اللّغةِ العربيّةِ في حدودِ ما يُناسبُ نِظامَها وخصائصَها. ويُمكِنُ تلْخيصُ التّوجُّهِ اللّسانيّ عنْد المسدّيْ في النّقاطِ التّاليةِ:

- ✓ القراءةُ الفاحصَةُ والواعيةُ، والنّاقدةُ لِكلِّ ما أُنجِزَ منَ البُحُوثِ اللّسانيّةِ الغرْبيَّةِ.
- ✓ اِرْتكازُ المسدّيْ على المنهجِ الوصْفيّ في الدّراسةِ اللّسانيّةِ، وكذا المنْهج التّاريخيّ.
- ✓ يسْعى كلَّ السّعيِ لِاسْتنْطاقِ الموروثِ اللّسانيّ العربيّ، وتفْجيرِ مُكوّناتِه اللّغويّةِ لِبيانِ خصائصِه.
- ✓ تبنّيهِ المنْهجَ البنيَويّ فيْ الدّرسِ اللّسانيّ، فهو يرى أنّ مثْلَ هذا المنهجِ ذي التّحرُّكِ الآنيّ، قدّم خدْمةً جليلَةً، وقيمةً مُضافةً عنْد النّظرِ بعيْنِ الباحثِ المُتعمّقِ فيْ التّراثِ اللّغويّ العربيّ.

- ✓ يعملُ المسدّيْ على التّفريقِ بيْنَ مُصطلَحَيْ: اللّغةِ والكلامِ على نحْوِ ما قالتْ بهِ اللّسانيّاتُ المُعاصرَةُ. فاللّغةُ مِنْ وجهةِ نظرِه، هيَ مكْسبٌ إنسانيّ اِجْتماعيّ يقوم على الجانبِ الصّوتيّ والتّرْكيبيّ، ويخْتلِفُ مِنْ بيئةٍ لُغويّةٍ إلى أُخرى؛ أمّا الكلامُ، فهو القُدرةُ المُجسّدَةُ لِلرّصيدِ اللّغويّ، أيْ: المُمارسَةُ الفِعليَّةُ المُفضيَةُ إلى التّواصُلِ اللّغويّ.

وأخيرًا، يظْهرُ البحْثُ اللّسانيّ عنْد المسدّيْ في المُرْتكزاتِ التّاليَةِ:

- ✓ لخّص عبْدُ السّلامِ المسدّيْ وجْهةَ نظرِ عُلماءِ اللّغةِ العربيّةِ لِلظّاهرَةِ اللّغويّةِ حينَ قِراءَتِه الواعيَةِ لِلتّراثِ الّذيْ حمَلَ فِكرةَ المُواضَعَةِ.
- ✓ اِنْتهَجَ سبيلَ المُلاحظةِ العلْميّةِ حينَ لَجأَ إلى قِراءَةِ مادّةِ الفكْرِ اللّغويّ، ووقفَ مليًّا على تاريخِ نشْأَةِ اللّغةِ، ومراحلِ تطوُّرِها، والقضايا الّتيْ اِهْتمَّ بِها الفكْرُ اللّغويّ العربيّ.
- ✓ اِهْتمَّ كثيرًا بِاللّسانيّاتِ المُعاصرَةِ في شِقِّها النّظريّ، أيْ: اللّسانيّات العامّةُ مِنْ حيْثُ مُرتكَزاتُها، ومُعْطياتُها المعرِفيّةُ والمنْهجيَّةُ.

2.2 جهودُ عبْدِ القادرِ الفاسيْ الفِهْريّ[10]:

منْ عُلماءِ المغْرِبِ الشّقيقِ الأجلاّءِ، لِسانيٌّ بصيرٌ بِأُصولِ النّظريّاتِ اللّغويّةِ المُعاصرَةِ، أسّسَ لِنظريّةٍ لُغويّةٍ عربيّةٍ في ضوْءِ المُعطياتِ العِلْميّةِ الحديثةِ، فجلَبَ الاِحْترامَ لِلّسانيّاتِ العربيّةِ حينَ عدَّهُ اللّسانيّونَ الغرْبيّونَ عَبْقرِيَ زمانِهِ.

إنّ أوّلَ شيء يُميّزُ جهودَ الباحثِ اللّسانيّ الفاسيْ الفِهْريّ، هو التّعريفُ بِاللّغةِ العربيّةِ عنْ طريقِ تبْليغِ العالَمِ أسرارَ هذهِ اللّغةِ، فإليْهِ يرْجِعُ الفضْلُ الكبيرُ في إدْراجِ اللّسانيّاتِ في الجامعةِ المغْرِبيّةِ بصفَةٍ علْميّةٍ دقيقَةٍ، وأبْدى جُهدًا مُنقطِعَ النّظيرِ لِتطْويرِ اللّسانيّاتِ العربيّةِ عنْ طريقِ إرْساءِ دعائمَ المناهجِ العالَميّةِ المُتقدّمةِ لَمّا يتعلّقُ الأمرُ بِتحْليلِ القضايا اللّسانيّةِ اللّغويّةِ ومُعالجتِها.

حتّى وإنْ كانَ الباحثُ اللّسانيّ عبْدُ القادِرِ الفاسيْ الفِهْريّ لمْ يخُضْ عالَمَ التّأْليفِ الخاصّ، فَهذا لمْ يُثْنِهِ عنِ العملِ الدّؤوبِ مِنْ أجْلِ النّظرِ بِوعْيٍ وحكْمةٍ في القضايا الّتيْ تشْغلُ وطنَهُ والعالَمَ العربيّ، ومُحاولَةِ الإجابَةِ عنِ الأسْئلَةِ الّتيْ تُطرَحُ عليْه في شكْلِ رُدودٍ ذاتِ صياغةٍ مُحْكمَةٍ، تحْمِلُ فيْ طيّاتِها قِيمًا مُضافةً لِصرْحِ مُجتمَعِه، ولِلْبشريّةِ قاطبَةً، فهو يسْأَلُ ويُجيبُ، وإجاباتُهُ عكسَتْ طبيعةَ الطّينةِ الّتيْ ينْتميْ إليْها الباحثُ الفذُّ. ومِنَ الإجاباتِ المُتعلّقَةِ بِالبحْثِ اللّسانيّ، نذْكرُ ما يليْ:

- ✓ إذا كنتَ تُدرّسُ بِاللّغةِ العربيّةِ، فهذا يخلُقُ عملاً لِلأساتذَةِ العربِ، والعكْسُ صحيحٌ، إذنْ هناكَ اِرْتِباطٌ بيْن اللّغةِ والعملِ.
- ✓ وفي تأْليفِ الكتبِ أيضًا، حينما تُؤلِّفُ كتابا، إذا كنتَ كويتيّا وكتبْتَ روايةً بِاللّغةِ العربيّةِ سيقْرؤها العربُ... إذنْ، فهيَ وسيلَةٌ لِبيْعِ المُنْتَجِ العربيّ.
- ✓ إنّ هناك أشْياءَ كثيرَةً قدّمتْها اللّسانيّاتُ لِلبشريّةِ في كلّ مكانٍ واِخْتصاصٍ، حيثُ المعرِفةُ الأعْمقُ لِلّغاتِ، والمُقارنة الأعْمق لِلّغاتِ، ولِأصْلِ اللّغةِ نفسِهِ.
- ✓ يُؤكّدُ الفِهريّ ضرورَةَ وجودِ تخْطيطٍ تشْريعيّ ينْقُلُ المبادئ العامّةَ الموجودةَ في الدّسْتور إلى مُمارساتٍ أساسيّةٍ فيْ ميْدانِ اللّغةِ؛ لِأنّ اللّغةَ إذا لمِ تُمارَسْ فيْ الحياةِ اليوميّةِ فيْ المدارسِ، والبحْثِ العلْميّ، وكلِّ المجالاتِ، فإنّ المبادئَ الدّستوريّةَ لا تكْفيْ.
- ✓ اليومَ،لا يُمكِنُ أنْ نكْتفي بِلغةٍ واحدَةٍ، حتّى الولايات المتّحدة تُشجّعُ أبناءها على تعلُّمِ لُغةٍ أخرى لِتحْسينِ فُرصِهِمْ الاِقْتصاديّةِ، ومِنْ بيْنِ هذهِ اللّغاتِ: اللّغة العربيّة، لا بُدّ منْ تخْطيطٍ مُحكَمٍ لِلْحفاظِ على اللّغةِ العربيّةِ، ولُغةِ الفُرصِ، والتّموْقُعِ الحضاريّ لِلْعربِ.

3- جهودُ الجزائريّينَ في تطْويرِ البحثِ اللّسانيّ

بعْد أنْ أفردْنا حيِّزًا مِنْ هذِه المُداخلَةِ المُتواضعَةِ لِأعْلامِ البحْثِ اللّسانيِّ في الدّولتيْنِ الشّقيقَتيْنِ: تونِسَ، والمغْرِبَ بِاعْتبارِهما جارتيْنِ جغْرافيّا، وأُخْتَيْنِ تاريخيًّا، أيْن نوَّهْنا بِالجهودِ المبْذولَةِ على يدِ قُطبيْنِ سَعَيا لإعادةِ مكانةِ اللُّغةِ العربيّةِ بيْنَ اللّغاتِ البشريّةِ الأُخرى، وردِّ الاِعْتبارِ لِلدَّرسِ اللُّغويِّ العربيِّ الحديثِ، أ لا وهما: عبْدُ السّلام المسدّيْ، وعبْدُ القادرِ الفاسيْ الفِهْرِيُّ؛ قُلْنا، بعْدَ قِيامِنا بواجبِ الاِعْتزازِ لِهذيْنِ العالِميْنِ اللِّسانيَيْنِ، نتوجَّهُ في العنْصُرِ هذا منْ محاوِرِ مُداخلَتِنا إلى الوقوفِ على جهودِ الجزائريّينَ في تطْويرِ البحْثِ اللِّسانيِّ، مُنْطلِقينَ منْ عوامِلَ كثيرَةٍ دفعتْنا لِلْخوْضِ في هذا المجالِ، نعْملُ على ذِكرِ بعْضٍ منْها على النّحوِ التّاليْ:

- ✓ عرْضُ صورَةٍ واضحةِ المعالِمِ عنْ مسارِ البحثِ اللِّسانيِّ بِالجزائرِ.
- ✓ التّعريفُ بِاتِّجاهاتِ أوْ بِالأحْرى المذهب (المدْرسَة) اللّسانيّ الّذيْ تشبَّعَ بِه البحْثُ اللِّسانيُّ بِالجزائرِ وتبنّاهُ، معَ ذكْرِ مُنطلَقاتِه، وأهْدافِه.
- ✓ الإشادَةُ بِجهودِ عُلماءِ الجزائرِ في مجالِ البحْثِ اللِّسانيِّ المُعاصرِ.
- ✓ بيانُ القيمةِ النّظريّةِ لِلْمدرَسَةِ الخليليَّةِ، والمنْهجيّةِ الّتيْ وسَمَتْ المُنْتَجَ اللِّسانيَّ.

وحتّى تكونَ الإنْطلاقَةُ واضحةً وهادِفةً، إرْتأَيْنا أنْ نَعْرِضَ منْحًى لِسانيًّا حديثا تَرَكَ بصماتِهِ في حقْلِ الدِّراساتِ اللُّغويّةِ، والّذي جسّدهُ بِحقٍّ ومثّلَهُ أحْسنَ تمْثيلٍ، العالِمُ اللِّسانيُّ الجزائريُّ الفذُّ –رحمه الله– عبْدُ الرّحمن الحاج صالِح في إطارِ النّظريّةِ الخليليّةِ الحديثةِ الّذيْ إسْتلْهمَ بعْضًا منْ مفاهيمِها ممّا جاءَ بهِ الخليلُ بْنُ أحْمدَ الفراهيديّ، بدليلِ نِسبةِ هذِه النّظريّةِ إليْهِ. وتُعدُّ النّظريّةُ الخليليّةُ أحْسَنَ ما يعْكِسُ البحثَ اللِّسانيَّ المُعاصِرَ في الفكْرِ المغارِبيِّ، لِكونِها –أيْ: النّظريّة– حقّقتْ شُروطَها، والّتيْ هيَ: " الأصالَةُ، والتّحكُّمُ فيْ المنْهجِ، والإمْتِدادُ الزّمانيّ والمكانيُّ، والتّطوُّرُ في المفاهيمِ، وصلاحُها في كثيرٍ منَ اللُّغاتِ، ولَها أتْباعٌ ومُؤيِّدونَ "[11]، وفعْلاً، حقّقَتْ المدرسَةُ الخليليّةُ شروطَ النّظريَّةِ اللِّسانيّةِ، والّتيْ هيَ:

- ✓ الأصالَةُ (منْبعُها الموْروثُ اللُّغوِيُّ العربيُّ).
- ✓ المنْهجُ الواضِحُ (الدِّراسةُ النّقْديّةُ لِلنّظريّةِ اللُّغويّةِ القديمةِ فيْ إطارِ الدّرْسِ اللُّغويِّ العربيِّ).
- ✓ العالَميَّةُ (الإمْتدادُ في الزّمانِ، والمكانِ).
- ✓ الحداثَةُ (نظْرَةٌ شُموليّةٌ مُتجدِّدَةٌ، وقراءَةٌ ثانيَةٌ لِلّغةِ العربيّةِ).
- ✓ ذاتُ قيمةٍ مُضافَةٍ، فقدْ أَثْرَتِ الخزانَةَ العربيّةَ.
- ✓ لها أنْصارٌ، ومُؤَيِّدونَ.

وليْسَ هذا فحسْبُ، فقيمةُ هذِه النّظريّةِ تبْدو جليًّا مِنْ حيْثُ موضوعُها الّذيْ كانَ محلَّ الدِّراسةِ "التُّراثُ العربيُّ القديمُ في شُموليتِهِ موْضوعًا لِدراساتِهِمْ المُتنوِّعةِ، أمّا المنْهجُ الّذيْ يَصْدرُ عنْ أصْحابِ هذِهِ الكِتابةِ فهْوَ ما يُعرَفُ عادَةً بِمنْهجِ القراءَةِ أوْ إعادَةِ القِراءَةِ، ومنْ غاياتِ لِسانيّةِ التُّراثِ وأهْدافِه، قِراءَةُ التّصوُّراتِ اللُّغويّةِ القديمةِ، وتأْويلُها وِفْقَ ما وصَلَ إليْهِ البحْثُ اللِسانيُّ الحديثُ، والتّوْفيق بيْن نتائجِ الفكْرِ اللُّغويِّ، والنّظريّاتِ اللِّسانيّةِ الحديثَةِ"[12]، فقدِ إرْتبَط موْضوعُ النّظريّةِ الخليليّةِ إرْتِباطًا وثيقًا بِالمنْبعِ الأصيلِ حينَ إسْتقْرأَتِ التُّراثَ العربيَّ القديمَ، ومنحتْهُ قِراءَةً ثانيَةً أهَّلتْها لِتَحْمِلَ الرِّيادةَ، وتوصَفَ بِالأصالَةِ حينَ إسْتوْحتْ أفْكارَها، ومُنطلقاتِها منَ المنْبَعِ اللُّغويِّ الّذيْ ظهَرَ على يَدِ سيبَويْهِ وأتْباعِه، أ فلمْ يكُنْ سيبَويْهِ تلْميذَ الخليلِ؟ "ما وصلَ إليْنا منْ تُراثٍ فيما يخُصُّ ميْدانَ اللّغةِ، وبِخاصّةٍ ما تَرَكهُ لَنا سيبَويْهِ (ت 180 هجريّة)، وأتْباعُهُ مِمَّنْ ينْتميْ إلى المدرسَةِ الّتيْ سمّاها بِالخليليّةِ، وكانَ ذلك بِالنّظرِ في الوقْتِ نفْسِه إلى ما توصّلتْ إليْهِ اللِّسانيّاتُ العربيّةُ"[13].

والحديثُ عنْ منْهجِ النّظريّةِ الخليليّةِ، يقودُنا إلى القوْلِ بِأنّهُ مُسْتوْحًى منْ فعْلِ القراءَةِ الجديدةِ لِما ترَكهُ الأوَّلونَ منْ نُحاةٍ عربٍ ولُغويِّينَ " قِراءَةٌ جديدةٌ لِما ترَكهُ الخليلُ بْنُ أحْمدَ الفراهيديّ (170 هـ)، وتلْميذُه سيبَويْهِ (180 هـ)، إلى غايةِ القرْنِ الرّابعِ بِخروجِ كتابِ سيبَويْهِ وغيْرِها، أضِفْ إلى ذلك البحوثَ الّتيْ كتبَها بعْضُ العباقرَةِ منَ العُلماءِ كعبْدِ القاهرِ الجُرْجانيِّ (471 هـ)، والسُّهيليّ (581 هـ)، والرّضيّ الإسْترابياديّ (686 هـ)، وغيْرِهم.."[14].

هذا، ولا يسَعُنا في هذا المقامِ العلْميِّ الرّفيعِ، إلاّ أنْ نذْكرَ الغايَةَ الّتيْ رصَدها اللِّسانيُّ الجزائريُّ عبْدُ الرّحْمنِ الحاج صالِح حينَ وضَعَ النّظريَّةَ الخليليَّةَ، وأرْسى دعائمَها، فهو القائلُ: " تقْويمُ النّظريَّةِ اللُّغويّةِ العربيّةِ الّتيْ كانتْ أساسًا لِأغلَبِ ما يقولُه سيبَويْهِ وشيوخُهُ، ولا سيّما الخليلُ، وكيفيّة مواصلةِ هذِه الجهودِ الأصيلَةِ في الوقْتِ الرّاهنِ، ويبْدأُ في وصْفِ المبادىءِ المنْهجيّةِ الّتيْ بُنيَتْ عليْها هذِه النّظريّةُ، وذلكَ بِالمُقارنَةِ بيْنَ المبادىءِ الّتيْ تأَسَّستْ عليْها اللِّسانيّاتُ الحديثَةُ وخاصّةً البِنْيَويّة والنّحْو التّوْليديّ التّحْويليّ، وبيْنَ هذِه النّظريّةِ"[15].

ويُمكِنُ لنا أنْ نُلخِّصَ أرْكانَ النّظريّةِ الخليليّةِ في النِّقاطِ التّاليَةِ:

- ✓ العالَميّة: الجمْعُ بيْنَ الأصالَةِ والحداثَةِ، والإمْتدادُ فيْ المكانِ والزّمانِ.
- ✓ قيِّمة: حمَلتْ قيمةً مُضافَةً، ولَها أتْباعٌ ومُؤيِّدونَ.
- ✓ موْضوعُها: التُّراثُ اللُّغويُّ العربيُّ القديمُ في شُموليَتِه.
- ✓ منْهجُها: القِراءَةُ الجديدةُ لِلتُّراثِ اللُّغويِّ العربيِّ القديمِ لِلْخروجِ بِتصوُّرٍ آخرَ لِلُّغةِ العربيّةِ، وقواعدِها الضّابطَةِ لَها.
- ✓ الغايَةُ منْها: عمَلٌ إجرائيٌّ، الهدَفُ منْهُ تقْويمُ النّظريّةِ اللُّغويّةِ العربيّةِ.

يجعلُنا الحديثُ عنِ اللِّسانيِّ الجزائريِّ عبْدِ الرّحْمنِ الحاج صالِح نثيرُ نوْعيْنِ اِثْنيْنِ منَ الجهودِ المبْذولَةِ في البحْثِ اللِّسانيِّ، وهما: جهودُهُ على المُستوى الفرْديِّ، وجهودُهُ على المُسْتوى الجماعيِّ.

1.3 المُسْتوى الفرْديُّ:

يُميِّزُه ما قامَ بِه منْ إثارَةٍ لِقضيَّةِ التّرجمةِ، وقضيَّةِ المصطلَحِ العربيِّ ومحاولة معالجةِ مُشْكِلاتِهما المطْروحةِ، وكذا الأسس الّتيْ وضعَها في إعْدادِ الرُّموزِ العربيّةِ الخاصَّةِ بِكتابةِ الكلامِ المنطوقِ[16].

2.3 المُستوى الثّانيْ:

ويتجلّى أمامَنا، فيْ:

1.2.3 مشْروع الرّصيدِ الوظيفيّ المغاربيّ، وهو عبارَةٌ عنْ مسْحٍ شامِلٍ لِلرّصيدِ منَ اللُّغةِ الّتيْ يجِبُ إكْسابُها المُتعلِّمَ (الطِّفلَ)، أيْ: تلْكَ المجْموعةُ منَ المُفرداتِ والجُملِ العربيّةِ الفصيحةِ وما جاءَ على مِنوالِها، ويكونُ المتعلِّمُ (الطِّفلُ) فيْ أمسِّ الحاجةِ إليْها وهو فيْ سِنٍّ مُعيَنةٍ منْ مراحلِ عُمُرِه حتّى يتمكَّنَ منَ التّواصُلِ والتّعْبيرِ عنْ أغْراضِهِ اليّوميّةِ، والمعانيْ العاديَةِ الّتيْ تعِنُّ بِفكْرِه، يقولُ عبْدُ الرّحمنِ فيْ هذا الشّأْنِ: " الرّصيدُ منَ اللّغةِ الّتيْ يجبُ أنْ تُعلَّمَ لِلطِّفْلِ، هيَ مجموعةٌ منَ المُفرداتِ، والعباراتِ العربيّةِ الفصيحةِ أوْ ما كانَ على قِياسِها مِمّا يحْتاجُ إليْها التِّلْميذُ فيْ سِنٍّ مُعيَنةٍ منْ عُمُرِه حتّى يتسنّى لهُ التّعْبيرُ عنِ الأغْراضِ، والمعانيْ العاديَةِ الّتيْ تَجْريْ في التّخاطُبِ اليوْمِيِّ، ومنْ ناحيةٍ أُخْرى التّعْبيرُ عنِ المفاهيمِ الحضاريّةِ والعِلْميّةِ الأساسيَّةِ الّتيْ يجبُ أنْ يتعلّمها في هذِه المرْحلَةِ "[17].

2.2.3 مشْروع الذَّخيرَةِ اللُّغويّةِ العربيّةِ، وهيَ فكْرَةٌ لِسانيّةٌ تزْميْ إلى وضْعِ قاعِدةِ بياناتٍ أوْ بنْكِ مُعْطياتٍ آليٍّ حاسوبيٍّ يضُمُّ كلَّ النّصوصِ القديمةِ والحديثَةِ الّتيْ كُتبَتْ باللُّغةِ العربيّةِ الفُصْحى "إنَّ ما أسْميْناهُ بِمشْروعِ الذَّخيرَةِ اللُّغويّةِ العربيّةِ يرْميْ إلى ضبْطِ بنْكٍ آليٍّ حاسوبيٍّ منَ النّصوصِ القديمةِ والحديثَةِ بِالعربيّةِ الفُصْحى"[18].

3.2.3 المدْرسة الخليليّة، وهيَ –مثْلَما نوَّهْنا بِه في السّطورِ المُتقدِّمَةِ– قِراءَةٌ جديدةٌ تقْويميّةٌ لِلنّظريّةِ اللُّغويّةِ العربيّةِ القديمةِ. بِمعْنًى آخرَ، تصوّرٌ جديدٌ لِما تَركَهُ العلاّمةُ الخليلُ بْنُ أحْمدَ الفراهيديُّ، وتلْميذُهُ سيبَويْهِ الّذيْ عمِلَ على ذِكرِ الأشْهرِ منْ أقْوالِ أُسْتاذِه وأغْلبِها في: (الكتابِ)، مُتوسِّعًا في شرْحِ المفاهيمِ وتوْضيحِها والّتيْ اِكْتسبَها وتلقّاها على يَدِ شيْخِه. وهْيَ قراءَةٌ تمَخّضَتْ عنْها قيمةٌ عظيمةٌ حتّى أضْحتْ نُقْطةَ إشْعاعٍ علْميٍّ لِلْعديدِ منَ المجالاتِ، مثْلُ: الهنْدسة الحاسوبيّة، وأمْراض الكلامِ، والبحْث اللِّسانيّ، فهو القائلُ عنْ أهمِّيتِها: " وقدْ صارَتِ النّظريّةُ منْ ذلِك الوقْتِ العِمادَ النّظريَّ اللُّغويَّ لِعدَّةِ دراساتٍ قامَ بِها باحِثونَ منْ مُخْتلِفِ الآفاقِ العلْميّةِ، وخاصّةً منْ مرْكزِ البُحوثِ لِترْقيَةِ اللُّغةِ العربيّةِ بِالجزائرِ مِنْ مُهنْدسينَ في الحاسوبِ، وأساتذة في اللُّغةِ العربيّةِ والإنْجليزيّةِ، وباحثينَ فيْ أمراضِ الكلامِ"[19]. وهذا الكلامُ لِلْعلاّمةِ يُثمِّنُ الطّرْحَ اللِّسانيَّ العربيَ ويُحسِّنُهُ بِطريقَةٍ تأْخُذ فيْ الحسْبانِ ما يُلائمُ وطبيعةَ اللُّغةِ والفكْرِ، والمفاهيمِ اللِّسانيَّةِ العربيّةِ، أ لمْ نَعْرِضْ وجْهةَ نظرِهِ في إرْساءِ دعائمِ

هذِه النّظرَةِ حينَ قُلْنا فيْ فضاءِ هذهِ المُداخلَةِ، إنّ عبْدَ الرّحْمنِ الحاج صالِح أخذَ العصا منْ وسطِها؟ فقدْ جمَعَ بيْنَ المفاهيمِ اللّسانيّةِ منَ التُّراثِ العربيِّ القديمِ وما تمخَّضَ عنْه منْ إرْهاصاتٍ توحيْ بِالبحثِ اللّسانيِّ عنْدَ العرَبِ، وبيْنَ المفاهيمِ اللّسانيّةِ المُعاصرَةِ، أيْ بِمعْنًى آخرَ: الجمْعُ بيْنَ الأصالَةِ بِالحفاظِ على خُصوصيّاتِ اللُّغةِ العربيّةِ، وبيْنَ الحداثَةِ حينَ تفتَّحَ فكْرُهُ الموْضوعيُّ ليَرْكَبَ بِذلكَ موْجةَ المفاهيمِ اللّسانيَّةِ المُسْتحْدثَةِ: "وقدْ حاولْنا منْذُ ما يَقْرُبُ منْ ثلاثينَ سنةً أنْ نُحلِّلَ ما وصَل إليْنا منْ تُراثٍ فيما يَخُصُّ ميْدانَ اللُّغةِ، وبِخاصّةٍ ما ترَكَهُ لَنا سيبَويْهِ وأتْباعُه مِمّنْ يَنْتميْ إلى المدرسَةِ الخليليّةِ، وكلُّ ذلِك بِالنّظرِ في الوقْتِ نفْسِه فيما توصَّلتْ إليْهِ اللّسانيّاتُ الغرْبيّةُ، وكانتِ النّتيجةُ أنْ تكوَّنَ معَ مُرورِ الزّمانِ فريق مِنَ الباحثينَ... يُريدُ أنْ يُواصِلَ ما اِبْتدَأَهُ الخليلُ وسيبَويْهِ"[20]. إذنْ، حاولَ هذا الفريقُ بعْدَ الجهودِ المُضْنيَةِ الّتيْ اِسْتغْرقَتْ لِأكْثرَ منْ عقْديْنِ منَ الزّمنِ، أنْ يسْتنْبِطَ نظريّةً جديدَةً منْ رَحِمِ ما توصَّلَ إليْهِ عُلماءُ النّحْوِ الأوَّلونَ "والّذيْ نُريدُ أنْ يَنتبِهَ إليْهِ إخْوانُنا الباحثونَ، هوَ وُجودُ نظريَّةٍ اِسْتخْرَجها بعْضُ الباحثينَ الجزائريّينَ مِمّا أخْرجَهُ عُلماءُ النّحْوِ الأوَّلونَ "[21].

نُحاولُ وبِإيجازٍ شديدٍ قبْلَ أنْ نصِلَ إلى خاتِمةِ المُداخلَةِ، أنْ نَعْرِضَ أهمَّ الأُسُسِ الّتيْ بُنيَتْ عليْها النّظريّةُ الخليليّةُ على النّحْوِ التّاليْ:

- ✓ مفْهومُ الاِسْتِقامةِ المُتأَرْجِحُ بيْنَ اللَّفْظِ والمعْنى.
- ✓ مفْهومُ الاِنْفِرادِ فيْ التّحْليلِ، وما يتفرّعُ عنْ هذا المفْهومِ.
- ✓ مفْهومُ الوضْعِ والاِسْتعْمالِ، والعلامةِ العدَميَةِ.
- ✓ مفْهومُ اللَّفْظةِ، والعاملِ.

هذا، وقدْ تفرَّعتْ عنِ المفاهيمِ أعْلاهُ، جُملَةٌ منَ المُصْطلَحاتِ، منْها: الأصْلُ والفرْعُ، والتّفْريعُ، والقِياسُ، والاِنْفصالُ، والاِبْتِداءُ...

فـ**الاسْتقامةُ**، تُحيلُنا إلى قاعدَةِ التّحْليلِ عنْدَ النُّحاةِ القُدامى الّذيْ كانَ يقومُ منْ جهةِ اللّفْظِ وحْدَهُ، ومنْ جهةٍ أُخْرى على المعْنى. فاللَّفْظُ إذا فُسِّرَ بِمفاهيمَ تخُصُّ المعْنى، كانَ التّحْليلُ معْنويًّا وحسْبُ. أمّا إذا فُسِّرَ اللّفظُ منْ غيْرِ اِعْتبارٍ لِلْمعْنى، كانَ التّحليلُ لفْظيًّا نحْويًّا. فالنُّحاةُ العرَبُ لمْ يَخلِطوا أبدًا بيْنَ هذيْنِ التّحْليليْنِ " فالتّخْليطُ بيْنَ هذيْنِ الاِعْتبارَيْنِ، يُعْتبَرُ خطأً وتقْصيرًا "[22].

الإنْفِرادُ وحدُّ اللَّفْظةِ، فالأوّلُ يُمثِّلُ طريقَةَ النُّحاةِ الأوَّلينَ فيْ ضبْطِ وحَداتِ اللُّغةِ سواءٌ كانتْ جُملاً أوْ ألْفاظًا، والتّخريج لَها بِالإعْتِمادِ على اللُّغةِ ذاتِها بِإدْراجِ شيءٍ مُفْتَرَضٍ كما هو الحالُ في النّظريّاتِ اللِّسانيَّةِ الحديثَةِ على غِرارِ التّوْليديَّةِ. أمّا مصْطلَحُ اللَّفظَةِ، فهيَ الكلمةُ الّتيْ يُمكِنُ اِنْفِرادُها، كما تعْنيْ الكلمةَ بِلواحِقِها الّتيْ لا تُخْرِجُها عنْ بابِها معَ إمْكانِ نِيابتِها عنْ تلْك الكلمةِ المُفْرَدَةِ.

المَوْضِعُ، و**العلامةُ العدَميَةُ**، فالمُصْطلَحُ الأوّلُ يُمثِّلُ المحلَّ الّذيْ يُمْكِنُ أنْ يُوضَعَ فيهِ عُنصُرٌ منَ العناصِرِ المُؤثِّرَةِ، فإذا غابَ فيْ ذلِك المحلِّ العُنْصُرُ، سُمِيَّ علامةً عدَميَةً، وهيَ الّتيْ تَخْتفيْ فيْ موْضِعٍ لِمُقابلَتِها لِعلامةٍ ظاهرَةٍ فيْ موْضِعٍ آخرَ.

العامِلُ، ويرْتبِطُ مفْهومُهُ بِالبِنيَةِ التّرْكيبيّةِ لِلْجمْلةِ، فالعامِلُ هو المُحرِّكُ الرّئيسُ لِعناصرِها، والمُوَجِّهُ لِعلاقاتِها، ولإسْنادِ الحركاتِ الإعْرابيَّةِ المناسبةِ لَها.

الأصْلُ و**الفرْعُ**، ثُنائيَّةٌ مُرْتبِطةٌ عنْدَ النُّحاةِ القُدامى بِالعُنصرِ الثّابِتِ أوْ النّواةِ. أمّا الفرْعُ " فهوَ الأصْلُ بِزيادةٍ إيجابيَّةٍ أوْ سلبيَّةٍ "[23]. والأصْلُ هو " ما يُبْنى عليْهِ، ولمْ يُبْنَ على غيْرِه. والفرْعُ هوَ الأصْلُ معَ زيادَةٍ معَ شيءٍ منَ تحْويلٍ "[24]. وقدْ عرَّفَ الحاج صالِح الأصْلَ في موْضعٍ آخرَ بقولِهِ: " ما يُبْنى عليْهِ، ولمْ يُبْنَ على غيْرِه. وهو ما يسْتقِلُّ بِنفْسِه، أيْ: يُمكِنُ أنْ يوجدَ في الكلامِ وحْدهُ، ولا يحْتاجُ إلى علامةٍ لِيتمايَزَ عنْ فُروعِه، فلَه العلامةُ العَدميَةُ"[25]، وهو ما يُطلَقُ عليْهِ مُصْطلَحُ (Signifiant zéro) أيْ: أنّ الأصْلَ عنْصُرٌ ثابِتٌ مُستمِرٌّ لا يُمْكِنُ أنْ يَنْحلَّ أوْ يتجزَّأَ إلى أجْزاءٍ صُغْرى وإلاّ فقَدَ معْناهُ بِفقْدِهِ لِبنائِهِ. ومِنْ خصائصِهِ:

- ✓ خالٍ مِنْ كلِّ زيادةٍ إيجابيَّةٍ أوْ سلبيّةٍ.
- ✓ يتعلَّقُ وُجودُهُ بِمفْهومٍ آخرَ يُدْعى الفرْعُ.
- ✓ يَنْتميْ إلى جميعِ المُسْتوياتِ.

كأنْ نقولَ: المُذكَّرُ أصْلٌ لِلْمؤنَّثِ، والنّكرَةُ أَصْلٌ لِلْمعرِفَةِ...

المِثالُ، مفهومٌ منْطِقيٌّ رياضيٌّ، وهو وزْنُ الكلمةِ أوْ حدُّها أوْ بِناؤها، ومفهومُ المِثالِ لا مُقابِلَ لَهُ في اللِّسانيّاتِ الغرْبيّةِ "حدٌّ إجْرائيٌّ تتحدَّدُ بِه العناصِرُ اللُّغويّةُ؛ لِأنّهُ تُرْسَمُ فيهِ جميعُ العمليّاتِ الّتيْ بِها يتولَّدُ العُنصرُ اللُّغويُّ فيْ واقِعِ الخِطابِ"[26]. والمِثالُ، يَحمِلُ فيْ النّظريّةِ الخليليّةِ مفْهومَ: "مجموعةٌ منَ المواضِعِ الاِعْتباريّةِ مرتّبة ترْتيبًا مُعيَّنًا يَدْخُلُ فيْ بعْضِها، وقدْ تخْلو منْها العناصِرُ الأصْليّةُ وما فوْقَها"[27]. ويرْتكِزُ المِثالُ فيْ مُستوى العمليّةِ الأولى على

ضَمِّ الحروفِ الأصْليّةِ لِلْكلمةِ. وفيْ مُستوى العمليّةِ الثّانيةِ على العلامةِ العدَميَةِ، أيْ بِمعْنًى آخرَ: التّغيُّراتُ الطّارئةُ على الكلمةِ فيْ ظلِّ دخولِ الزّوائدِ عليْها.

القِياسُ، أداةٌ يُعوَّلُ عليْها فيْ مُعظَمِ القضايا النّحْويّةِ، وهو يَعْنيْ: " حمْلُ شيءٍ على شيْءٍ لِجامِعٍ بيْنهُما، وحمْلُ شيءٍ فيْ الحُكْمِ، وهذا الحُكمُ هو ما يُعْرَفُ فيْ المنْطِقِ الرِّيّاضيِّ: تطْبيقُ النّظيرِ على النّظيرِ (Bijection)، وتطْبيقُ مجْموعةٍ على مجْموعةٍ حتّى يَظْهرَ تَطابُقٌ فيْ البِنْيَةِ بيْنَ مجْموعتيْنِ على الأقَلِّ "[28].

الوضْعُ و**الإسْتعْمالُ،** ما دامتِ اللُّغةُ نِظامًا منَ الرُّموزِ والعلاماتِ، وما دامَ المتعلِّمُ يَختارُ منْها ما يُساعِدُهُ على التّعْبيرِ عنْ نفْسِه، وحاجتِهِ، وغرَضِهِ، فهيَ إذنْ: "قبْلَ كلِّ شيْءٍ وضْعٌ، ثُمَّ اِسْتِعْمالُ النّاطقينَ لَها"[29]. وإنْ كانَ الأمرُ كذلِك، فلا بُدَّ منْ إبْداءِ العنايَةِ الفائقَةِ بِالنّحْوِ والبلاغةِ، يقولُ الحاج صالِح: "البلاغةُ فيْ مَظْهرِها الأوَّلِ، أيْ: كعلْمٍ لِلْمعانيْ، هيَ اِمْتِدادٌ لِعلْمِ النّحْوِ؛ لأنّها تنْظُرُ فيْ كيفيَّةِ اِسْتعْمالِ الفرْدِ لِمعانيْ النّحْوِ، وهيَ المعانيْ الّتيْ تدُلُّ عليْها كلُّ الوُجوهِ الّتيْ يَقْتضيها النّحْوُ"[30].

مفْهومُ البابِ، ويُشيرُ إلى ما تجْمعُهُ بِنيَةٌ واحِدةٌ "مجْموعةٌ مِنَ العناصِرِ تنْتميْ إلى فئَةٍ أوْ صِنْفٍ وتجْمعُها بِنيَةٌ واحدَةٌ"[31].

هذِه بِاخْتِصارٍ، أهمُّ المُرْتكزاتِ الّتيْ تأَسَّسَتْ عليْها النّظريّةُ الخليليّةُ بِريادةِ اللِّسانيِّ الجزائريِّ عبْدِ الرّحْمنِ الحاج صالِح.

الخاتمة:

وفيْ الختامِ، لا يسعُنا إلاّ أنْ نترحَّمَ على أبيْ اللِّسانيّاتِ والمتميِّزِ في لُغةِ الضّادِ العلاّمةِ عبْدِ الرّحمن الحاج صالِح الّذيْ رحلَتْ نفسُهُ إلى بارئها يومَ: 05 مارس 2017 بعْدَ أنْ وقفَ حياتَهُ خِدمةً لِلُّغةِ العربيّةِ، بِالبحثِ والتّنقيبِ فيْ مجالِ الدِّراساتِ اللُّغويّةِ فيْ ظلِّ الموروثِ العلْميِّ اللُّغوِيِّ العربيِّ المُجسَّدِ فيْ (الكتابِ) لِسيبَويْهِ إمامِ البصْرَةِ، وتلْميذِ الخليلِ.

إنَّ اللِّسانيَّ الجزائريَّ الفقيدَ، دعا فيْ كلِّ مرَّةٍ، ومِنْ على المنابِرِ العلْميَّةِ إلى تعدُّدِ اللُّغاتِ لَدى الفردِ العربيِّ، والتّمكُّنِ منْ ناصيَةِ كلِّ لغةٍ يتعلَّمُها، فهوَ مَنْ وصَفَ الإنْسانَ المُكْتفيْ بِلُغةٍ واحدَةٍ بِالمِسْكينِ المُعاقِ.

أبْرَزُ أعْمالِ العلاّمةِ –رحِمهُ اللهُ– تأْسيسُهُ لِلْدّرْسِ اللِّسانيِّ فيْ الجامعةِ الجزائريّةِ على غِرارِ ما فعلَهُ زميلُهُ الباحثُ اللِّسانيُّ المغْرِبِيُّ عبْدُ القادِرِ الفاسيْ الفِهْرِيُّ، وكذا مشْروع الذَّخيرةِ اللُّغويّةِ العربيّةِ بِاسْتعْمالِ البَرْمجَةِ الحاسوبيّةِ، أَ وَلمْ يَكُنْ أيْضًا منْ دُعاةِ إنْشاءِ (غوغلْ) عربيٍّ؟

ومِنْ مُؤلّفاتِ الشّيْخِ العلاّمةِ عشراتُ البُحُوثِ والدِّراساتِ فيْ اللُّغةِ واللِّسانيّاتِ، ومعاجِمُ علومِ اللِّسانِ الّتيْ تَمَّ نشْرُها فيْ العديدِ منَ المجلاّتِ المُتَخصِّصَةِ بِاللّغاتِ: العربيّةِ، والإنْجليزيّةِ، والفرَنْسيّةِ، كما ترَكَ لَنا كتُبًا كثيرَةً فيْ علومِ اللُّغةِ العربيّةِ واللِّسانيّاتِ العامّةِ، ومنْها: مُعْجَمُ علومِ اللِّسانِ، وبُحوثٌ ودراساتٌ فيْ علومِ اللِّسانِ، والسّماعُ اللُّغوِيُّ عنْدَ العرَبِ ومفْهومُ الفَصَاحةِ، وعلْمُ اللِّسانِ العربِيِّ، وعلْمُ اللِّسانِ العامِّ، والنّظريّةُ الخليليّةُ، ومنْطِقُ العرَبِ فيْ علومِ اللِّسانِ.

الهوامش:

1– أحمد قدّور: مبادئ اللِّسانيّاتِ، ص.11.

2– د/مازن.الوعر: صلَة التُّراثِ اللُّغويّ العربيّ باللِّسانيّاتِ، مجلّة التّراث العربيِّ.

3– نشَر الدّكتور مازن الوعر ما قالهُ نعوم تشومسكي حوْلَ هذا الموضوعِ في مجلّةِ اللِسانيّاتِ الصّادرَةِ عنْ معْهدِ العلومِ اللِّسانيَّةِ والصّوْتيَّةِ لِجامعةِ الجزائر، مج 6، 1984.

4– أنتوني روبنز(Anthony Robbins)، كاتب ومُتحدِّث أمْريكيّ، وُلدَ في 1960.02.29م في كاليفورنيا، ولَهُ الكثيرُ منَ الكُتُبِ والبرامجِ في مجالِ تطْويرِ الذّاتِ، وهو منْ مُؤسِّسي البَرْمجَةِ العصَبيَّةِ اللُّغويَّةِ.

5– ولتر كوك (Walter Cook)، عالِم لِسانِيٌّ أمْريكيٌّ ذو صيتٍ بعيدٍ.

6– اِبنُ فارِس: الصّاحِبيّ في فِقْهِ اللُّغةِ العربيّةِ، ومسائلِها، وسنَنِ العرب في كلامِها، قدّمَ لهُ مُصْطفى الشّويميّ، مؤسّسة بدْران لِلطِّباعةِ والنّشْرِ، ط1، 1963، ص: 62.

7– أكاديميّ، وكاتِب، وديبلوماسيّ، ووزير التّعليمِ العاليْ، والبحْثِ العلْميِّ بتونِسَ الشّقيقَةِ. منْ مواليدِ 26.يناير.1945م بصفاقس، علَمٌ مِنْ أعْلامِ البحْثِ اللّسانيِّ العربيِّ، فضْلاً عنْ إسْهاماتِه في الحركةِ الأدبيّةِ النّقْديّةِ العربيّةِ. حصَلَ على الإجازةِ في اللّغةِ العربيّةِ والآدابِ العربيّةِ بتونِسَ عامَ 1969م، والتّبريز في الأدبِ العربيِّ عامَ 1972م، وأخيرًا دكتوراه الدّولة عامَ 1979م، كما شغَلَ منْصِبَ وزيرِ التّعليمِ العاليْ والبحثِ العلْميِّ بتونِسَ بيْنَ 1987–1989م. منْ مؤلّفاتِهِ: التّفكيرُ اللّسانيُّ في الحضارةِ العربيّةِ، وقاموسُ اللّسانيّاتِ، وقضيّةُ البنيويّةِ، ومباحِثُ تأْسيسيَّةٌ في اللّسانيّاتِ وغيْرها...

8– عبد السّلام المسدّيْ: مباحِثُ تأْسيسيّةٌ في اللّسانيّاتِ، دار الكتابِ الجديدة المتّحدة، ط1، 2010، ص: 10.

9– عبْد السّلام المسدّيْ: قضيّة البنْيويّة، دراسة ونماذجُ، وزارةُ الثّقافةِ، تونس، ط1، 1991، ص: 22.

10– هو منْ مواليدِ 20.أفريل.1947 بفاس، بالمغربِ الشّقيقِ. عالِمُ لِسانيّاتٍ، وخبيرٌ لِسانيٌّ دوليٌّ، هو أستاذٌ في اللّسانيّاتِ العربيّةِ المُقارنةِ، ورئيسُ جمعيّةِ اللّسانيّاتِ بالمغربِ. نالَ جائزةَ الإسْتحْقاقِ الكُبْرى لِلثّقافةِ و العلومِ، ووِسامَ العرْشِ مِنْ درجةِ فارس قلّدَهُ إيّاهُ الملِكُ الحسنُ الثّانيْ. لمْ يتفرّغْ لِلتّأْليفِ الخاصِّ، بلْ كانَ إنتاجُهُ عبارَةً عنْ أجْوبَةٍ تتعلّقُ بمسائلَ تخُصُّ

القضايا اللُّغويَّةَ، والفكْريَّةَ، والإنْسانيّةَ يُسْأَلُ عنْها فيُجيبُ، وقدْ تكفّلَ اِبْنُه عبْدُ الرّحمنِ بمساعدَةٍ مِنْ بعْضِ أصحابِه بِجمْعها، ومنْها: الأجوِبةُ الصُّغْرى، والنّوازِلُ الكُبْرى. تُوُفِيَّ الباحِثُ يوْمَ الأربعاءِ 8.رمضان.1091هجريّة.

11- صالح بلْعيد: مقالاتٌ لُغويّةٌ، دارُ هومةَ لِلطّبْعِ والنّشْرِ، الجزائر، (د.ط)، 2004، ص: 53.

12- مُصطفى علفانْ: اللِّسانيّاتُ العربيّةُ الحديثَةُ، ص: 90.

13- عبْدُ الرّحمنِ الحاج صالِح:المدرسَةُ الخليليَّةُ الحديثةُ، والدّراساتُ اللِّسانيّةُ الحاليَةُ في العالَمِ العربيِّ، أعْمالُ النّدوةِ الجهويّةِ الّتيْ عُقِدتْ بِالرِّباطِ عامَ 1987م، والّيْ كانَ موْضوعُها (تقدُّمُ اللِّسانيّاتِ في الأقْطارِ العربيّةِ)، تحتَ إشرافِ مُنظمّةِ الأُممِ المُتّحدَةِ لِلتّربيةِ والعلومِ والثّقافةِ (اليونسْكو)، دارُ الغرْبِ الإسْلاميّ، بيْروت، ط1، 1991، ص صَ: 367-368.

14- عبْدُ الرّحمنِ الحاج صالِح: النّظريّةُ الخليليّةُ الحديثَةُ، مفاهيمُها الأساسيَّةُ، مرْكزُ البحْثِ العلْميِّ والتِّقنِيِّ لِتطْويرِ اللّغةِ العربيّةِ، (د.ط)، الجزائر، 2007، ص: 5.

15- المرْجِعُ نفسُه، ص: 15.

16- عبْدُ الرّحمنِ الحاج صالِح: بحوثٌ ودراساتٌ في اللِّسانيّاتِ العربيّةِ، موفم لِلنّشْرِ، الجزائر، 2012، ج1، ص صَ: 371-423.

17- المرْجِعُ نفْسُهُ، ج1، ص: 145.

18- المرْجِعُ نفْسُهُ، ج1، والصّفحة نفْسُها.

19- عبْدُ الرّحمنِ الحاج صالِح: النّظريّةُ الخليليّةُ الحديثَةُ، المفاهيمُ الأساسيّةُ، كُرّاساتُ المرْكزِ، ع4، 2007، ص: 11.

20- عبْدُ الرّحمنِ الحاج صالِح: بحوثٌ ودراساتٌ في اللِّسانيّاتِ العربيّةِ، موفم لِلنّشْرِ، الجزائر، 2012، ج1، ص: 208.

21- المرْجعُ نفسُهُ، ج2، ص: 45.

22- المرْجعُ نفسُهُ، ج1، ص: 217.

23- صالِح بلْعيد: اللُّغةُ العربيّةُ العِلْميّةُ، دارُ هومةَ، الجزائر، 2003، ص: 110.

24- عبْدُ الرّحمنِ الحاج صالِح: بحوثٌ ودراساتٌ في اللِّسانيّاتِ العربيّةِ، موفم لِلنّشْرِ، الجزائر، 2012، ج1، ص: 127.

25- المرْجعُ نفْسُهُ، ج1، ص: 217.

26- المرْجِعُ نفسُهُ، ج1، ص: 319.

27- المرْجِع نفسُهُ، ج2، ص: 16.

28- المرْجِع نفسُهُ، ج1، ص: 109.

29- المرجِعُ نفسُهُ، ج1، ص: 157.

30- عبْدُ الرّحمن الحاج صالِح: المدرسَةُ الخليليّةُ الحديثَةُ، المفاهيمُ الأساسيَّةُ، ص: 383.

31- عبْدُ الرّحمنِ الحاج صالِح: بحوثٌ ودراساتٌ في اللِّسانيّاتِ العربيّةِ، موفم لِلنّشْرِ، الجزائر، 2012، ج1، ص: 318.

البيبليوغرافيا:

1- اِبنُ فارِس: الصّاحِبيّ في فِقْهِ اللُّغةِ العربيّةِ، ومسائلِها، وسنَنِ العرب في كلامِها، قدّمَ لهُ مُصْطفى الشّويميّ، مؤسّسة بدْران لِلطِّباعةِ والنّشْرِ، ط1، 1963.

2- أحمد قدّور: مبادئ اللِّسانيّاتِ.

3- صالح بلْعيد: مقالاتٌ لُغويّةٌ، دارُ هومةَ لِلطّبْعِ والنّشْرِ، الجزائر، (د.ط)، 2004.

4- صالِح بلْعيد: اللُّغةُ العربيّةُ العِلْميّةُ، دارُ هومةَ، الجزائر، 2003.

5- عبْدُ الرّحمنِ الحاج صالِح: بحوثٌ ودراساتٌ في اللِّسانيّاتِ العربيّةِ، موفم لِلنّشْرِ، الجزائر، ج1، 2012.

6- عبْدُ الرّحمنِ الحاج صالِح: النّظريّةُ الخليليّةُ الحديثَةُ، المفاهيمُ الأساسيّةُ، كُرّاساتُ المرْكزِ، ع4، 2007.

7- عبد السّلام المسدّيْ: مباحِثُ تأْسيسيّةٌ في اللّسانيّاتِ، دار الكتابِ الجديدة المتّحدة، ط1، 2010.

8- عبْد السّلام المسدّيْ: قضيّة البنْيويّة، دراسة ونماذجُ، وزارةُ الثّقافةِ، تونس، ط1، 1991.

9- د/مازن.الوعر: صلَة التُّراثِ اللُّغويّ العربيّ باللِّسانيّاتِ، مجلّة التّراث العربيِّ.

10- مُصطفى علفانْ: اللِّسانيّاتُ العربيّةُ الحديثَةُ.